الثورة الادبية[1]

ايها السادة والسيدات

قبل ان ابدأ بالكلام اطلبكم ألا اكلمكم هذه الليلة بالرموز والالغاز . بل في نيتي ان اجرد الاشياء من رموزها . واسميها باسمائها . فان ذكرت العقاب مثلاً لا تظنوني اشير الى شيء خفي تحتهُ او فوقهُ او وراءهُ او فيهِ . بل اريد العقاب بعينهِ . وان قلت هبت الشرقية . فلا تقولوا ما اجمل هذه الصور الخيالية . فاني اقصد الثلج الحقيقية . تلك التي لو مرت العقاب لوقعت فيها مشوبةً . قد حان لنا ان ندعو المأمول معمولاً على حد قول اخواننا الاميركيين . وبناء على ذلك سنبقى على الارض هذه الليلة بعيدين عن القمر والجوزاء والشعراء

لما وقفت امامكم في السنة الماضية شعرت بوجودي معكم في غور الحياة بل في اردن الموت . واما الآن فاراني والحمد لله اخاطبكم وانتم في سهول الصحة تستنشقون هواء الحرية فمن اردن الموت الى سهول الحياة وحقول الحرية — خطوة خطيرة . ولكنها صغيرة . هي خطوة الى الأمام . ولكنها لا تغني عن رحلتنا الطويلة شيئاً من الاقدام . فان حولنا وجهنا الى مشرق الشمس نرَ الجبال قائمة في طريقنا لا لتعترضنا في سيرنا بل لتشحذ منا الهمة وتيقظ فينا النشاط وكلما صعدنا في جبل نشاهد فوقنا روح ما تجسّد من الامال . وهي تدعونا الى ما فوقها من الجبال . فان الامة التي تستيقظ من سباتها وتنفض عنها غبار الخمول الاجيال ينبغي لها ان تواصل السير بالسرى والاّ تقهقرت نسقطت ثانية في الوهدة التي نهضت منها . ولا يخفى عليكم ان الطريق وعرة . والزاد قليل . والنفس مضناة من اقامتها طويلاً في الغور . والاحمال ثقيلة . والاعداء كثيرون . وسنتوفق ان شاء الله في سيرنا على رغم هذه الصعوبات والعقبات . اذا اخذنا الشمس دليلنا . وزادنا الآداب والفنون

ان الشمس المشرقة علينا من المغرب اليوم هي والحق يقال شمسنا . هي شمس آدابنا . هي شمس اديانا . هي شمس مجدنا الغابر . فاذا نظرتم الى خارطة العالم رأيتم ان ثلاثاً من البلاد آخذة من مركز القلب . وهذه البلاد هي سوريا وفلسطين وجزيرة العرب وما بين النهرين . هذه البلاد وطننا . وهذا الوطن قلب العالم . وفي هذا القلب ظهرت الانبياء وفيهِ نشأت الاديان . ومن هذا القلب اشرقت على اوربا في القرون الوسطى شمس العلم

(١) خطبة القيت في حفلة جمعية بهذب الشبيبة السورية في نادي مدرسة الكلية في ١٢ ايار سنة ١٩٠٩

والادب والفلسفة فانارت ظلمات الاوروبيين وخرجت بهم من مهامه الجهل والتوحش الى واحات الرقي والعمران . اجل ان وطننا لقلب العالم . ولكن اوربا رأسهُ . وان كان القلب منشأ الخيال والنبوة فالرأس منشأ العلوم والفنون . على ان النور المنبثق من الرأس فقط هو كالنور الاصطناعي الذي يضيئون به المراسح في اوربا . هو نور بارد جامد خامد . وان لم يشترك مع نور القلب وحرارته فلا خير فيهِ للانسان مهما عظمت نتائجهُ في دوائر العمران . والفنون ان لم يكن الضمير اساسها والاخلاص لباسها . وتنفع البشر غايتها الاولى فهي انيون لا فنون . فانها تخدر الحواس وتلهب بشيء من السموم ولكنها تقتل النفس وتفسد الحياة

ان سكان هذه البلاد التي هي قلب العالم لشبيهون بشجرة ذكرها النبي . شجرة مباركة لا غربيةٌ ولا شرقية . نحن اليوم واقفون بين مدنيتين متناقضتين معاديتين الواحدة للاخرى . مدنية جديدة ومدنية قديمة . مدنية اوربيةٌ ترفع اليوم اعلامها في البلاد كلها . ومدنية شرقية لم يزل لها المقام الرفيع بين فئة راقية من الادباء والفلاسفة في اوربا . فان كان هؤلاء الاوروبيون يجدون في مدنيتنا ما لا ينبغي تركهُ . ما لا يجوز اضمحلالهُ . فكم بالحري نحن . ولي كلام طويل في هاتين المدنيتين اقول الوجيز منهُ الآن

لست بجاهل ما في مدنية اليوم لمن كثر مالهُ نقط من دواعي الراحة في المعيشة البدنية المادية والسهولة في التوصل والسفر والانتقال . ولا اظنكم تجهلون ما في التعادي والتكالب في سبيل هذه الاشياء من الشقاء ايضاً والبلاء . فان المدنية التي يدعى التكالب فيها نشاطاً . والخداع براعة . والقوة حقاً في عندي شر المدنيات . وهذه هي مدنية اوربا اليوم . مدنية كهرباء وبخار . مدنية تجارة وكسب واستغزار . مدنية حروب وفتوحات واستعمار . ليس فيها للضمير والذمة أثر من الآثار . مدنية جذورها حب الذات والاستئثار . وليها اليأس والانتحار . لا تقولوا بالبت . فان كلامي من الاخبار . لا من التجلات والاسفار . واما مدنية الشرق فلست بناكر انها مدنية خمول وجمود واستسلام . مدنية اصولها القضاء والقدر وليها محض اوهام . ولكن فيها من جميل العادات والتقاليد . من جميل العواطف والشعور . من شهامة النفس وكرم الاخلاق . من الانعطاف والوداد والوفاء ما تفتقر اليهِ المدنية الاوروبيةُ فهذه الخلال الشريفة تبعث الحرارة من الحقيقة الباردة القاسية فتسمي الحياة خفيفة الاحمال مرضية الامال . ناهيك عن انهُ لم يزل في هذه المدنية القديمة شيء من البساطة والوداعة ومن الضمير الحي مما يزيد النفس الشرقية جمالاً . والضمير الحي

يا سادتي هو علم العلوم والفنون والآداب ومن هذه كلها تتغذى المدنية الحقة

نحن اليوم واقفون بين هاتين المدنيتين · بين مدنية غازية متعسفة واخرى مدبرة · وينبغي ان لا نخضع على الاطلاق لهذا الفاتح القوي وان لا نترك ما في مدنيتنا من اطهر الروحي · ولا يخيفنا من استبداد هذه الفاتحة القاهرة ويحفظ لنا حسنات تلك المدبرة الا الآداب · ولا اريد بالآداب الكتب فقط بل اريد منها آداب النفس اولاً والاخلاق · ان الدين وهو ابو مدنية الشرق يرفض بتاتاً مدنية الغرب · والعلم المادي وهو آلة مدنية الغرب يرفض بتاتاً مدنية الشرق · فالدين والعلم في هذا الموقف متعرضان كل لقومه ولا يدفعنا الواحد منهما دون الاخر · واني لا اجد في كل قوى النفس والفكر وثمارها اصلح وانجح من الآداب تجمع بين الاثنين فينشأ عن ذلك مدنية جديدة لوائها الصنائع والفنون وشعارها الاتحاد العام · واعلموا ان الفنون السامية الجميلة هي التي تتغذى من العلم والدين معاً · والامة التي تجعل مثل هذه الفنون اساس حياتها الاجتماعية هي ولا غرو مجد المستقبل وام الامم · واحب ان اشاهد على شطوط البحرين او في اودية الرافدين مثل هذه المدنية الجامعة بين محاسن المدنيتين · احب ان ارى في قلب العالم جمال روح العالم وكماله · احب ان ارى في بلاد الشام وبلاد العرب ثمار الانبياء وثمار العلماء على شجرة واحدة · احب ان نزرع بساتين هذه الارض المقدسة من تلك الشجرة المباركة التي جاء ذكرها في كتاب اخواننا المسلمين — شجرة لا شرقية ولا غربية · واحب ان ارى الشعراء والادباء بعيدين عن السياسة واوحالها منصرفين الى حراثة هذه البساتين الجميلة

سادتي · لا تظنوا ان الانقلاب السياسي يجدي الامة نفعاً ان لم يتبعهُ انقلاب ادبي · لا تظنوا ان في الحكومة الدستورية دواء شافياً لكل امراضنا · لا تظنوا ان الدستور وحدهُ يخلص الامة من الاخطار المحدقة بها والنامية في قلبها · وان الصحافة الحرة تقف دائماً من اجل الامة في وجه المشعوذين والمضللين والمفسدين · وهل الدستور والصحافة الحرة رقيقان من رق السحرة حتى اذا قلنا مثلاً — شولم صحافة ! صرنا شعباً حراً · شولم دستور ! صرنا امة راقية ؟ لا يا اخواني لا · فان طلبتم الحرية اطلبوا المعنوي منها قبل الحرفي الجوهري قبل السياسي · اطلبوا الحرية الروحية التي تحميها الآداب قبل الحرية المدنية التي تتاجر بها الاحزاب · وان خفي عليكم الفرق بين الاثنين اذكروا ان حرية الجسد لا تجدي المرء نفعاً اذا كانت النفس مقيدة · وان حرية الفكر والقول لا تغني فتيلاً اذا ظلت الروح اسيرة ما اعتادهُ الجسد من الراحة والترف والرخاء او الذلة وتدمير الوجه والمياه · اخواني · ان

الفرق بين الحرية الادبيَّة الروحية والحرية المدنيَّة المادية كالفرق بين حرية السياسي سيف مراوغاتهِ وحرية البدوي في خيمتهِ او الرجل الصالح الجريء في معاملاتهِ. ان الحرية الحقيقية هي التي تنشأ في النفس لا التي يمنحها الملك الرعية. فان هذه تزعزعها الاهواء ويتاجر بها الزعماء وتقتلها رجعات النقهقر الشهواء وتلك كنز من كنوز النفس الخالدة. والذين لا يتاضلون عن مثل هذه الحرية ولا يفادون من اجلها بشيء مما ألفوهُ من رخاء العيش او بشيء مما نالوهُ من المال او الرفعة والوجاهة بل يتنازلون عنها ويتاجرون بها كما لو كانت شيئاً من الخام او سهماً من اسهم البورص فما هم الاَّ قبور متحركة اذ ما الجسد الاَّ كالقبر للنفس باعت حريتها. ولكني خرجت عن الموضوع

قلت ان الآداب التي تجمع بين العلم والدين تكون قوام المدنية الجديدة التي يقرن فيها بين مدنية المغرب المادية ومدنية المشرق الروحيَّة. ولكن آدابنا لم تزل تحت سيطرة المحدثين والمتطفلين. وأنفسنا لم تزل في ربقة رجال الدين. وان لم تقهر من هذا الاستبداد الديني او بالحري الكهنوتي كما تحررنا من الاستبداد السياسي تظل آدابنا جامدة مبتذلة خاشعة. ونعود بعد حين الى ما كنا فيهِ من التقهقر والخمول والانحطاط

خذوني بحلسكم فاقص عليكم برجيز الكلام قصة الكهان. ونشوء العبادة في قلب الانسان. لنعد الى الاكواخ اذًا فهكي هنالك شيئاً من حكاية اجدادنا الاولين. من المعقولات التي لا تنفيها الالميات او الالهيات التي لا تنفيها المعقولات — ان اول دعوة لباها الانسان دعوة بطنهِ وشهواتهِ. وماذا يهمنا وقد علمنا هل كان الانسان الاول يمشي على الاربع في تلك الايام او على الاثنتين. فان في العالم حتى اليوم كثيرًا من الحيوانات التي لا تمشي على الاربع! هذا الحيوان الناطق اذًا لم يكن يفهم في بادىء امرهِ الاَّ حديث معدتهِ وحديث كبدهِ. فكان لا يحسن غير الصيد والحرب والاكل والزواج. وبعد فترة من الزمن مقدارها الفان قرنًا او الفان عامًا — لا فرق عندي — بدأ يسمع صوتاً آخر من فوق المعدة والكبد. بدأ يشعر بدعوة القلب فصار يعطف قليلاً على اولادهِ ان لم نقل ايضاً على شريكتهِ بل جاريتهِ بل زوجتهِ. وعلى هذه الحال عاش قرونًا — وللعلماء ان يجمعوا الالوف منها فوق الالوف فان عددها لا يستحق تعب الفكر — عاش قرونًا وهو لا يرى ولا يسمع سوى ما زيَّنتهُ لهُ الغريزة وحدَّثتهُ عنهُ المعدة. اوَلا ترى ان بعض شعوب اليوم ناعبك عن القبائل المتوحشة لم تزل في هاتهِ الحالة المنحطة من الحياة. فان القوى المدركة لم تظهر فيهم بعد. وفي هذه الفترة الطويلة الامد نشأت على ما اظن العبادات

والمعبودات التي كانت في بدئ امرها مادية محضة . لان هذا الحيوان الناطق بل هذا العباد الغازي ما رأى في الاشياء الاَّ ما ظهر منها . ما رأى في الشمس الاَّ النور . ما رأى في الشجرة الاَّ ثمارها واغصانها وقشورها . ما رأى في النار سوى لهيبها ودخانها ورمادها . ما رأى في الحيوانات سوى ما بدا منها وما ظهر من حركاتها . في تلك الايام السعيدة كان كل حيوان ناطق يعبد طاغوتهُ على طريقتهِ الخاصة . بمقتضى شعورهِ وهواهُ . عملاً بداعي القلب والغريزة . وبعد مضي احقاب من الزمن وهو في هذا الغور من الحب والعبادة ارتقى قليلاً الى ما فوق السهول وبدا يشغل المخيلة منهُ حتى صار يرى في الاشياء شبحًا تحت القشور وتحت الرماد . وبما انهُ لم يدرك اسرارها راح يملي نفسهُ بالاشعار ويملأها بالخيالات و بمقتضى هذا خلق كل انسان يمثل الخالق في الشكل الذي انطبع في قلبهِ . اكثر من سواهُ ولا حاجة لتعداد هذه المعبودات كلها فلو جئت اعدد منها لا ان اعددها لا تقتضي ذلك من الوقت ما لا يتسع بهِ المقام . ولكن اذا ذكرنا منها الجعل والشمس فقط نكون قد اتينا على ذكر اولها وآخرها ادناها واعلاها . اصغرها واكبرها وحالة الفرد تجاه معبودهِ في تلك الايام هي اليوم حالة المجموع في شعوب الارض كلها . وما اوثق في الامم سوى الافراد

ولكن لنعد الى اصحاب الاكواخ . لما ظهر في الجماعات الناس ارقى نوعًا من اخوانهم وبدا لهم ان الانسان يرتاح الى كل غريب عجيب — والزنجي والباريزي اليوم سواء من هذا القبيل — لما علم هؤلاء الدهاة ما للجبال والوهم من السطوة على النفوس والقلوب قاموا ينشؤن من هذه العبادات ديانات رسمية . فبنوا الهياكل وحاكوا من اوهام الناس طقوسًا وطرائق واقاموا انفسهم رؤساء في الهيكل وبدأوا يتكهنون ويتألهون الله ! — بل يتألهون الطاغوت على الارض وهذا في رأيي اول ما كان من امر الوثنية والكهان . ولا تنسوا ان الوثنية لم تزل سائدة في بلادنا والكهان يتعاطون التجارة اليوم في دكانهم القديم فوجدت الديانة الرسمية وشيدت من اجلها الهياكل ونصبت الاصنام وقدمت الذبائح والقرابين وتسربت الى بيت المتكهن العطايا والاموال . وذلك قبل ان ظهر في الارض الانبياء الذين هم اعداء الملوك والكهان . فاذكروا هذا ولا تنسوهُ . ان الانبياء لاعداء الظلم في الملك والرجاسة في الهيكل والفساد في الجماعات

واما الكهان يا سادتي فهم اول من عاثوا في الارض فسادًا . هم اول من قيدوا النفس البشرية واستعبدوها . هم اول من تاجروا بالخداع والتغرير . هم اول من استولوا على الملوك والامراء وايدوا سلطانهم بانباء مكذوبة من السماء . والكهان اليوم هم اعداء الحرية الادبية

الروحية . ولا يغرنكم ما بدا منهم من الارتياح الى هذه الحرية التي منحنا اياها الدستور . فان الثعبان لم يزل في ايديهم والارواح لم تزل في ربقتهم . الكهان هم اعداء الآداب الراقية . اعداء اشتياقات الانفس السامية الى الكمالات الفكرية . على الكهان وآلهة الكهان امتشق نبي العرب حسامهُ في الكعبة وصب اشياءه نار غضبهِ في اورشليم . على الكهان واصنامهم وتزاويقهم ومذابحهم ورجاساتهم انقضت صواعق حزقيال في اسرائيل ودمدت رعود دانيال في بابل . على تعزيرات الكهان وخزعبلات العبادات قام عبد الوهاب في نجد ولوثروس في وتنبورغ وجون نكس في انكلترا وغيرهم في الارض كثيرون . فما ضرنا لو استغنينا عن المكهنين المدلسين وتفلتنا من ربقتهم واعتصمنا بالله وبدين الله وبانبياء الله ؟ تدبروا كلامي ولا تسيئوا مرادي . اني احترم العاطفة الدينية التي تكون فطرية في الانسان ولكني لا اجد في خزعبلات هؤلاء الناس وفي تنطعهم — وقد قيل هلك المتطهرون — ما يساوي ذرة من نفس امرىء راقية . ولكن اذا لبس الكاهن لغايتهِ ثوباً من التحرير والخداع ولبس المتعبدون ثوباً من الجهل والخرافة فذلك لان الانسان لا يسير في الارض عريانا . ينبغي لهُ ان يستر سوأتهُ ولو بسوءة اسوأ منها . وقد قيل — ان من آفات الدين فسق المتكهنين وجهل المتعبدين

ايها السادة . ان المرء يحتاج دائماً الى من يذكرهُ بانهُ من ابناء اليوم لا من بقايا امس . يحتاج دائماً الى من يربو الريفة في رطبتهِ . والقيود على روحهِ . يحتاج دائماً الى من يهمس في اذنهِ او يصرخ في وجههِ — انك انسان حر لا حلية في جيب هذا او ذاك يتصرف بها ساعة شاء كيف شاء . نيا ايها الشرقيون . ان تحت خريف نفسكم الدائم ربيعاً جميلاً ان كنتم تعقلون . ان تحت رموسكم مرجات عظيمات لو ناهنتم العاصفة ولو مرة في الحياة فان مثل هذه النهضات الروحية . مثل هذه الثورات الادبية وان كانت عاقبتها اليوم غير مرضية ، فهي غداً منعشة لنفس محيية ، مثل هذه النهضات تعود المرء الفكرة . وتروض منهُ الارادة . وتكسبهُ المنعة والاستقلال . ان للماضي اثراً قوياً في العروق . ان فتور الشرقي لفي الدم . فان كان لا يمرن نفسهُ وارادتهُ على ما يحرك الدم — دم الجلد ودم الروح معاً — يظل ما دام حياً كطلل من اطلال الزمان . ولا ينهض الشرقيون من هذا الفور المظلم سوى الثورة الادبية التي يتبعها انقلاب عظيم في الاخلاق

ها اننا صرنا امة حرة ذات حكومة دستورية . ولكن ذلك لا ينافي ما في العائلة وما في الطائفة وما في المدرسة من الجور والحيف والاستبداد . من العماوة والجهل والفساد . ذلك

لا ينافي ما في اصطلاحاتنا الاجتماعيّة — وأكثرها من فضول التمدن الافرنجي — من الضيم والشقاء ما لا يعانيهُ ظلم اظلم حكومة مطلقة . ألا ترون ان التاجر لم يزل يحيى النظير تحت اموالهِ وصكوكهِ . والصانع لم يزل اسير هذا العبد سيدهِ . والتلميذ في المدرسة اسير جهل استاذهِ . والاستاذ اسير استبداد رئيسهِ . ألا ترون ان الصلح السياسي موهونة حريتهُ خطة حزبهِ . والكاتب حريتهُ عند قرائهِ او في قبضة رزقهِ . والعجماوي حريتهُ في جلدهِ واستقلالهُ في كيسهِ — لا تؤاخذوني فقد وعدتكم في البداية بان اسمي المعول معولاً والعقاب عقاباً — ألا ترون ان المرأة في البيت مقيدة بارادة زوجها عادلة كانت او جائرة . وان الاب لم يزل يعتقد ان اصول التربية في تأييد سلطتهِ . والمأمور في الحكومة يتألم من ضغط ذاك الجالس فوق رأسهِ . والجندي من استئثار ضباطهِ . والكاهن من ظلم اسقفهِ . والاسقف من استبداد بطريقهِ . والراهب يحترق في نذرهِ ويئن من عنف رئيسهِ . والفلاح يتأوه من جور اميرهِ بل يصرخ في بعض الاماكن تحت سوطهِ . شولم صحافة ! اصرنا شعباً حرّاً ؟ شولم دستور ! أصرنا امة راقية ؟ اي اخواني . اسمعوا التقية تهمس في اذن هذا الكاهن — حافظ على مركزك . اسمعوا الخوف يقول لذاك الصحافي — حافظ على مصلحتك . اسمعوا الذلة ترشد اخانا الفلاح قائلة — اتقِ بطش سيدك . اسمعوا الجبانة تهمس في قلب الراهب — اتقِ الفضيحة وحافظ على ثوبك . فالتقية والخوف والذلة والجبانة هي اعداء حرية الانسان الحقيقية وان لم يحرر نفسهُ منها بنفسهِ فمئة قانون ومئة دستور لا تحررهُ . واعلموا ان الارادة المستولية على ارواحنا لا يخلصنا من ظلمها الاَّ ارادة اشد وانوى منها

لذلك ادعوكم الى ثورة ادبيّة اناشدكم بالحرية التي بعثت من عور ماضينا حياة جديدة ألاَّ تدعوا الخوف والتقية والذلة والجبن تستولي عليكم متى شعرتم بيد تضغط جوراً على انفسكم متى رأيتم حريتكم الادبيّة مقيدة امامكم

ارفعوا اعلام الآداب في البلاد . شيدوا صروح التهذيب اسسوا معاهد الفنون فان الآداب والتهذيب والفنون هي القوى الادبية الروحية التي يتآلف فيها العلم والدين ويقترن فيها بين بديهيات الانبياء ونظريات العلماء وتمتزج فيها روح الجمال وروح الحقيقة وتنبثق منها اشعة السلم والحب والاخاء . هي هي القوى الادبية الروحية التي يتوقف عليها تحرير الانسان وتحرير الامم والشعوب . لتعزز الآداب اذاً والفنون لتؤيد بالقول والعمل التعاليم السامية لعصر المبادىء الحرة الجديدة ومتى رأينا ان الحزب الذي ننتمي اليهِ او الجريدة التي نكتب فيها او الطائفة التي نحن منها تحاول تقييد افكارنا او الضغط على عقولنا او المتاجرة

باروا حدا لعلينا ان نخرج منها سريعاً ونتفض عن ثيابنا غبارها ان شرف المرء في حرية عقله ونفسه وشرف الاحزاب في حرية رجالها وشرف الطوائف في حرية ابنائها

اخواني ما الناس الا امة واحدة وستجمعهم في المستقبل ان شاء الله جامعة واحدة هي جامعة الآداب والفنون ودين واحد شامل ترامهُ الايربة الالمية والاخاء العام

امين ريحاني

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحةً ترغيباً في المعارف وافهاماً للمهم وتنجيداً للاذهان . ولكنّ التهيدة في ما يدرج فيهِ على اتحاءٍ فحص براءة كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي : (١) المناظر والنضير مشتركان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف الغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمطالات الوافية مع الايجاز تستغار على المطوّلة

ميكروبات الامراض والمناعة

سيدي الفاضلين

ارى فيلسوفنا الكبير الدكتور شميل لاهياً هذه الايام بالحيوانات الكبيرة وسياستها وقد ترك الميكروبات وشأنها فاستأذنهُ في الرد على ما اعترض عليهِ بهِ الدكتور توليق جهلان فاذن لي لكني اخشى ان لا احسن في ذلك لينبري للرد على الاثنين واكون قد جنيت على نفسي والعياذ بالله من قلمي وتلك المراوة الفخمة التي يتوكأ عليها

قال الدكتور شميل " اذا علمنا ان الشفاء من المرض والمناعة عليهِ سيّان في طبيعتهما مهما كانت اقوال العلماء في تعليلها ولعلها نوعٌ من التكافؤ والائتلاف سهل علينا ان نفهم لماذا كانت المناعة ضعيفة قصيرة المدة في امراض الرتبة الاولى ثابتة طويلة المدة في امراض الرتبة الثانية ممتنعة (او هي غلبة المرض في هذا التنازع بينهُ وبين الجسم) في امراض الرتبة الثالثة " والذي قدرت ان افهمهُ من كلامهِ هذا انهُ لا يتكر اقوال العلماء وتعليلهم عن سير المرض واسباب المناعة سواء كانت تلك الاسباب غلبة الجسم على المرض او قيام ضد